البيان الثلاثاء | 04 صفر 1439هـ | 24 أكتوبر 2017م | العدد 13642

إرهاب إيران

«البيان» تفتح ملف تدخلات نظام الملالي في المنطقة والعالم (3)

إيران في العراق من تصدير الثورة إلى الوصاية

■ الساحة العراقية حبلى بعشرات الميليشيات المدعومة من إيران

■ نساء يسرن وسط شارع في مدينة عراقية مدمرة | أرشيفية

■ بغداد ـ عراق أحمد

التدخلات الإيرانية في العراق، كانت تعتمد إثارة وتغذية النعرات والفتن والمشكلات الداخلية، بهدف تحقيق مكاسب مادية أو التوسع الجغرافي، كما حصل في اتفاقية الجزائر عام 1975، التي حصلت بموجبها على نصف شط العرب، خلافاً لاتفاقية عام 1937، مقابل وقف دعمها للتمرد الكردي في شمال العراق، وإنهاء الأعمال العدائية ضد العراق، إلا أن التوجه التالي لإيران، بعد أن أصبحت تسمي نفسها «الجمهورية الإسلامية»، تغيرت بوصلته، من التأثير في الجمهوريات ذات الأغلبية الإسلامية في الاتحاد السوفييتي، والمساعدة على تفتيت القوة العظمى، إلى الطموح في أن تكون هي «القوة العظمى»، من خلال إحياء الإمبراطورية الفارسية، وأكثر من ذلك، إخضاع الدول الإسلامية لهيمنتها، ووضعها تحت وصاية «الولي الفقيه».

بدأت إيران أولى خطواتها «الإرهابية» بتصدير الثورة، حيث تريد تعميم نموذجها في عموم العالم، وبما أن «الأقربون أولى بالمعروف»! شهد العراق سلسلة من التفجيرات ومحاولات الاغتيال، كان وراءها متأثرون بالنهج الإيراني الجديد، فيما شهدت إيران بناء وتنشيط جماعات عراقية تعمل لصالحها تحت مسمى «المعارضة العراقية»، الأمر الذي اعتبره الجانب العراقي خرقاً فاضحاً لاتفاقية الجزائر التي نصت في أحد بنودها على «عدم التدخل في الشؤون الداخلية أو دعم أي جماعات معارضة». وبعدها جاءت حرب الثماني سنوات، وكانت أواخرها تمثل «قمة المأساة»، حيث تم الاتفاق على إنهاء الحرب في مارس 1988، إلا أن الإعلان الرسمي عن ذلك، وموافقة إيران على قرار مجلس الأمن رقم 598 بوقف الحرب مع العراق لم يتم إلا في أغسطس من نفس السنة، وذلك بعد 6 سنوات من موافقة العراق عليه. وخلال الأشهر الخمسة ما بين الاتفاق على وقف الحرب، والإعلان الرسمي، ذهب عشرات آلاف من القتلى من الجانبين، ومن الجماعات المسلحة التي كانت إيران تتبناها، وخاصة في شمالي العراق، ضمن مخططها لتغذية الفتن والاضطرابات الداخلية، ما يؤشر إلى مدى الاستخفاف بالدم العراقي، والإيراني أيضاً.

الدور الدموي للميليشيات

وبحسب مركز «روابط» للدراسات، فإن الكثيرين لم يعطوا لإيران حجمها الحقيقي الدور الذي يمكن أن تضطلع به في العراق بعد إسقاط الولايات المتحدة لنظام صدام حسين في 2003، فانصرفت الأعين عن الدور الإيراني بسبب الانشغال بالدور الأميركي كقوة احتلال مباشر، وقد استغلت طهران هذا الوضع ومدت نفوذها بقوة إلى الداخل العراقي حتى أصبحت هي اللاعب الأبرز على الساحة العراقية، ربما أكثر من الدور الأميركي ذاته أحياناً، من خلال الميليشيات الموالية لها، والمدعومة من قبل الأجهزة الأمنية، حيث سال الدم غزيراً في شوارع وبيوت العراقيين، مع وقوف الجانب الأميركي موقف المتفرج. لم يؤد الغزو الأميركي للعراق فقط إلى إسقاط نظام صدام حسين، بل أدّى إلى إسقاط الدولة العراقية وجيشها ومؤسسات الحكم فيها بشكل كامل تقريباً، وبالأخص المؤسسة العسكرية العراقية، وقد أعطى هذا الانهيار المؤسسي العراقي الفرصة لطرف قوي لا يُستهان به مثل إيران للتدخل ومحاولة التأثير في عملية إعادة البناء المؤسسي بحيث تضمن على أقل تقدير عدم مجيء حكم معاد، إذا لم تستطع إيجاد حكم موالٍ، مستغلة التأثير في الطائفة الشيعية العراقية وميليشياتها المسلّحة، وتأجيج الحرب الطائفية. كما تلقّفت إيران التطورات الناتجة عن الأخطاء الأميركية في نقل السلطة ودعّمت الحكومات الطائفية وسارعت للاعتراف بها وتوطيد العلاقات معها، وهو ما أعطى لطهران موطئ قدم في العراق في كل الحكومات التالية تقريباً، إذ عملت على ترسيخ القاعدة التي بدأتها الولايات المتحدة بتعزيز النهج الطائفي في اقتسام السلطة، وذلك من خلال قيامها بجهود واسعة في إزالة الخلافات العالقة بين التيارات الشيعية من أجل ضرب عصفورين بحجر، الأول يتمثل في الحفاظ على أغلبية شيعية تأتي بحكومات حليفة لإيران، والثاني في كسب ولاء مختلف التيارات الشيعية على اعتبار أن إيران هي الوسيط المتوقع في أي خلاف شيعي - شيعي، وذلك هو الدور الذي خوّل إيران لعب دور في إعادة تأهيل الجيش العراقي والتنسيق معه وتوقيع العديد من الاتفاقيات الأمنية.

شبهات حول «القاعدة»

ويلفت المراقبون للوضع العراقي إلى أن هناك شبهات كانت تحوم حول تنظيم «القاعدة» وعلاقته مع إيران، فهذا التنظيم قدم إلى العراق بعد الهجوم الأميركي على أفغانستان، وحمل اسم «الجهاد والتوحيد»، في جيب «بيارة وطويلة»، الممتد من مدينة حلبجة العراقية إلى داخل إيران، على شكل «شبه جزيرة»، ثم تفرق في أنحاء العراق، إثر القصف الأميركي لمواقعه في حرب 2003، ليحمل اسم «القاعدة» وليكون طرفاً مقابلاً في الحرب الطائفية التي بلغت أوجها في عامي 2005 ـ 2006، مع ملاحظة أن العام الأخير شهد لقاءات مكثفة بين قيادات التنظيم والجانب الإيراني، لأغراض التسليح، وهو ما يثير الاستغراب.. فكيف تقوم إيران بتسليح تنظيم يقاتل الميليشيات التابعة لها!؟ وكيف قبل هذا التنظيم دعم الجهة الرئيسية الداعمة لخصومه!؟

اللافت للنظر، أن أول ثمرات التعاون التسليحي بين تنظيم القاعدة وإيران، إعلان «داعش»، ليحل محل «القاعدة»، بموازاة النمط الإيراني «الجمهورية الإسلامية».

يلاحظ المتابعون للشأن العراقي، أن الحكومات المتعاقبة بعد الغزو الأميركي كانت تطلق تسمية «القاعدة» على كل التشكيلات المسلّحة المناهضة للاحتلال، فيما تعاونت الميليشيات مع الحكومة والاحتلال لضرب هذه الفصائل، إلى جانب محاربتها من قبل «القاعدة» التي كانت تحاول الانفراد في الساحة، بحجة «وحدة المقاومة».

المصالح الأميركية الإيرانية

■ بغداد ـ البيان

يرى مراقبون أن المصالح الأميركية والإيرانية تلاقت بعد أن استطاع تنظيم داعش السيطرة على مساحات واسعة من العراق، في ظل عجز عراقي واضح، أجل القضاء على التنظيم وتحرير الأراضي التي سيطر عليها، وعلى هذا الأساس تغاضت واشنطن عن الدور الإيراني غير المسبوق في العراق والذي شمل تمويل ودعم المليشيات وإرسال المستشارين، وربما الجنود، العسكريين إلى داخل العراق، وهو الدعم الذي أثار حفيظة السُنة وبعض البلدان المجاورة، وكان للميليشيات الطائفية الدور الأكبر في محاربة «داعش»، وتأمين الحدود الإيرانية، وبذلك تكون إيران هي المستفيد الأول من ظهور «داعش» وهزيمته.

وتوجد في العراق عشرات الميليشيات الطائفية التي تحصل على أكثر تجهيزاتها وعتادها من إيران، ومن أبرزها فيلق بدر، الذي تكون في إيران في ثمانينات القرن الماضي، وحارب ضد الجيش العراقي، ويحارب حالياً ضمن مليشيات الحشد الشعبي، وحزب الله ـ العراق، وعصائب أهل الحق المنشقة عن التيار الصدري، وغيرها، وقد تضاربت أعداد المقاتلين في التقارير المختلفة، ويبقى الشيء المؤكد أن هذه الفصائل سببت حرجاً كبيراً للحكومة العراقية، كونها قامت بارتكاب جرائم بحق السكان السُنة في الأماكن التي تم تحريرها.

30 ألف عسكري إيراني

■ بغداد ـ البيان

كشفت وثائق وجود ثلاثين ألف مقاتل إيراني على الأقل في العراق، كما تحدث رئيس مجلس النواب العراقي عن وجود عسكري إيراني «استثنائي» في إطار المساعدة الرسمية ضد «داعش». وبحسب مراقبين سياسيين، فإن العراق يحتل مكانة كبرى في الاستراتيجية الإيرانية في المنطقة، ليس فقط على المستوى السياسي، ولكن أيضاً على المستوى الديني كذلك، ونتيجة لتلك الأهمية فإنه لا يبدو أن إيران تنوي تفويت أي فرصة في العراق سواء حالية أو قادمة، بل إن الأحداث التي تشهدها المنطقة تدفع إيران باتجاه إيلاء العراق اهتماماً أكبر، فسيطرة «داعش» على أجزاء كبيرة من العراق أثبتت أهمية العراق الأمنية بالنسبة إلى إيران كونها قد لعبت دور الحاجز لصد خطر هذا التنظيم عنها.

وفي مقابل هذا فإن استمرار السياسات الطائفية التي ينتهجها حلفاء طهران في بغداد قد تؤدي إلى حالة عدم استقرار لفترة طويلة، ومن ثَم يتكرر مشهد استغلال «داعش» للانتفاضة العشائرية ضد نوري المالكي والتي جاءت رداً على فض المالكي لاعتصاماتهم المناهضة لسياساته الطائفية.

دعاية صاخبة للقوة

■ بغداد ـ البيان

مع كل الدور التخريبي لإيران في العراق، وعموم المنطقة، فإنها تؤكد حماية نفسها قبل كل شيء، ولديها هاجس المناوأة والمؤامرة في كل خطواتها، وسبب ذلك، حسب محللين سياسيين، يعود إلى أن الثورة الإيرانية، عام 1978 ـ 1979، لم تكن دينية، وإنما طلابية ـ علمانية، مع مشاركة للاتجاه الديني ـ الطائفي، الذي «سرق الثورة»، بدعم خارجي، ليكون أداة للضغط على جمهوريات آسيا الوسطى، وقد أكد أحد قادة الحرس في وقت سابق على أن إيران تهيمن على أربع عواصم عربية، بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء، والهدف مما يطلقونه من الدعايات الصاخبة القاضية بأن قاسم سليماني قائد فيلق القدس التابع للنظام الإيراني هو الذي يشرف على الأوضاع في العراق، كرسالة موجهة يوحون من خلالها بأن إيران تعزّزت قدراتها وأدوارها المتعدّدة، أي أنها أصبحت أقوى. يقول أمين مجلس الأمن القومي للنظام الإيراني علي شامخاني على هامش مراسم تشييع حميد تقوي، قائد فرقة رمضان في الحرس، الذي قتل في العراق، إن «مروجي الإشاعات الذين في قلوبهم مرض يشيعون هذه الأيام سؤالاً، أنه ما العلاقة بين مدينة سامراء وحميد تقوي، وما العلاقة بيننا وبين ما يجري في كل من العراق وسوريا، وبحسب وكالة أنباء فارس، صرح شامخاني في هذا الشأن «الجواب على هذا السؤال واضح، إذا لم يدفع أمثال تقوي دماءهم في العراق، فعلينا أن ندفع دماءنا في مدن سيستان وشيراز وأصفهان».

التيار الصدري: طهران تسعى لإعادة التخندق الطائفي

■ بغداد ـ البيان

تفاقمت الخلافات بين القوى السياسية الشيعية في العراق خلال الشهور الماضية. التيار الصدري أحد القوى الشيعية التي باتت تنتقد إيران علناً. هذا التيار يتّهم إيران بالتدخل في الشأن العراقي بشكل لا يصب في مصلحة شعبه، من خلال الدفع نحو التخندقات الطائفية، طهران أرسلت مسؤولَين رفيعَي المستوى إلى بغداد، هما رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام، هاشمي شاهرودي، والأمين العام للمجلس محسن رضائي، اللذين عقدا سلسلة لقاءات مع زعماء التحالف الحاكم.

وقال القيادي في كتلة الأحرار النيابية التابعة للتيار الصدري، أمير الكناني، إن «الشاهرودي، جاء لاستكمال ما بدأ به المبعوث الذي أرسلته إيران قبل ستة أشهر، من أجل توحيد البيت الشيعي وتشكيل كتلة شيعية خالصة تجمع قادة التحالف الوطني».

وأضاف: «إيران ليس لديها مشروع جديد في العراق غير تشكيل كتلة شيعية»، مبيناً أن «هذا التخندق الطائفي الشيعي يقابله تخندق طائفي سني وتخندق قومي كردي».

وشدد القيادي في كتلة الأحرار على أن «هذه التدخلات لا تصب في مصلحة الشعب العراقي الطامح إلى تشكيل كتلة وطنية عابرة للطائفية»، معتبراً الخلافات داخل التحالف الوطني وموضوع الانتخابات «شأناً داخلياً لا علاقة لإيران به».

مبعوث إيراني

ودعا الكناني إيران إلى «دعم المشاريع الاستثمارية في العراق ومكافحة الإرهاب، بدلاً من التدخل في الشأن الداخلي للبلد»، مشيراً إلى عدم قبول زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر طلب لقاء الشاهرودي «لإيمانه بعدم وجود ما هو جديد في المشروع الإيراني».

وكانت مصادر إعلامية نشرت تقريراً أكد أن الشاهرودي يمهد خلال زيارته إلى بغداد، لـ«رؤية إيرانية في العراق»، وذلك عن طريق «لملمة» التحالف الوطني الحاكم في البلاد، وصهره ببوتقة جديدة تمهيداً للانتخابات المقبلة، في ظل صعوبات كبيرة تعترض طريقه.

والتقى شاهرودي رئيس التحالف الوطني عمار الحكيم الذي أكد «رغبة العراق في استثمار مكانته الإقليمية ليكون جسراً بين المختلفين في المنطقة»، في إشارة إلى التقارب مع الخليج، إضافة إلى رئيس الوزراء حيدر العبادي، فيما يقف زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر، ضد هذا التوجه الذي يتبناه زعيم ائتلاف دولة القانون نوري المالكي، وعدد من قادة الحشد الشعبي. وأكد المسؤول الإيراني ضرورة «الانتفاع بالتجارب الإيرانية».

وبحسب مصادر مطلعة على طبيعة الحوارات التي أجراها الشاهرودي الذي يصنف بأنه الأكثر قرباً من المرشد علي خامنئي، فإن «وقف الانقسامات التي تواجه التحالف الشيعي الحاكم في بغداد كان الهدف الأول للزيارة».

إضاءة

يعد الشاهرودي من المؤسسين الأوائل لحزب الدعوة الذي يقوده حالياً نوري المالكي ويعد رئيس الوزراء حيدر العبادي أحد قادته، كما أنه تزعم في بداية الثمانينات المجلس الإسلامي الأعلى، إضافة إلى كونه رجل دين لديه مكاتب في النجف وكربلاء، ويمتلك نفوذاً في الأوساط الشيعية ولديه الجنسية العراقية بالولادة، لكن لا يُعرف إذا كان تخلى عنها بعد تسلمه منصبه الرسمي.